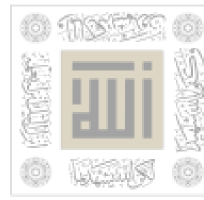
ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة
و جادلهم بالتى هى احسن

رسالة استحسان الخوض
فى علم الكلام

لشيخ السنة و أهلها إمام المتكلمين ناصر سنة سيد المرسلين
الشيخ أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى الشافعى
رحمه الله تعالى
مولده فى سنة سبعين و مائتين
و وفاته فى سنة ثلاثين و ثلاثمائة

و طبعت تحت مراقبة
السيد شرف الدين أحمد مدير دائرة المعارف العثمانية و سكرتيرها
قاضى المحكمة العليا سابقا

الطبعة الثالثة
بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند
١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم أجمعين.

أنبأنا الشيخ الإمام جمال الدين أبو الحسن بن إبراهيم بن عبد الله القرشي إجازة بخطه قال أنبأ الفقيه الإمام العالم فخر الدين أبو المعالى محمد ابن أبى الفرج بن محمد بن بركة الموصلي قراءة عليه و أنا أسمع فى مسجده بسوق السلطان ببغداد يوم الثلاثاء الثامن من شوال سنة ستمائة ـ قيل له قرأت على الشيخ الإمام الصدوق أبى منصور المبارك بن عبد الله بن محمد البغدادى يوم عرضك برباطه المعروف برباط البربهيرية شرقى مدينة السلام من سنة ثلاث و سبعين و خمسمائة؟ فأقر به ـ أنا الشيخ الإمام الحافظ جمال الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خالد المعروف بابن الإخوة سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة أنبأنا الشيخ أبو الفضل محمد بن يحيى الناتلى بمازندران فى منزله بقراءتى عليه أنبأ أبو نصر عبد الكريم بن محمد بن هارون الشيرازى أنبا على بن رستم ثنا على

ابن مهدى قال سمعت الشيخ الأوحد شيخ المشايخ أبا الحسن على بن إسمعيل الأشعرى رضى الله عنه يقول :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبى و آله الطيبين و أصحابه الأئمة المنتخبين .

أما بعد فان طائفة من الناس جعلوا الجهل رأس مالهم، و ثقل عليهم النظر و البحث عن الدين، و مالوا إلى التخفيف و التقليد، و طعنوا على من فتش عن أصول الدين و نسبوه إلى الضلال، و زعموا أن الكلام فى الحركة و السكون و الجسم و العرض و الألوان و الأكوان و الجزء و الطفرة و صفات البارى عز و جل بدعة و ضلالة؛ و قالوا : لو كان ذلك هدى و رشادا لتكلم فيه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و خلفاؤه و أصحابه ! قالوا : و لأن النبى صلى الله عليه و آله و سلم لم يمت حتى تكلم فى كل ما يحتاج إليه من أمور الدين و بينه بيانا شافيا، و لم يترك بعده لأحد مقالا فيما للمسلمين إليه حاجة من أمور دينهم و ما يقربهم إلى الله عز و جل و يباعدهم عن سخطه؛ فلما لم يرووا عنه الكلام فى شىء مما ذكرناه علمنا أن الكلام فيه بدعة والبحث عنه ضلالة، لأنه لو كان خيرا لما فات النبى صلى الله عليه و آله و أصحابه و سلم و لتكلموا فيه؛ قالوا : و لأنه ليس يخلو ذلك من وجهين : إما أن يكونوا علموه فسكتوا عنه، أو لم يعلموه بل جهلوه؛ فان كانوا علموه و لم يتكلموا فيه وسعنا أيضا نحن السكوت عنه كما وسعهم السكوت عنه، و وسعنا ترك الخوض كما وسعهم ترك الخوض فيه؛ و لأنه لو كان من

الدين ما وسعهم السكوت عنه ، و إن كانوا لم يعلموه وسعنا جهله كما وسع أولئك جهله ، لأنه لو كان من الدين لم يجهلوه ؛ فعلى كلا الوجهين الكلام فيه بدعة و الخوض فيه ضلالة . فهذه جملة ما احتجوا به فى ترك النظر فى الأصول .

قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه : الجواب عنه من ثلاثة أوجه :

﴿ أحدها ﴾ قلب السؤال عليهم بأن يقال : النبى صلى الله عليه و آله و سلم لم يقل أيضا إنه من بحث عن ذلك و تكلم فيه فاجعلوه مبتدعا ضالا ، فقد لزمكم أن تكونوا مبتدعة ضلالا إذ قد تكلمتم فى شيء لم يتكلم فيه النبى صلى الله عليه و آله و سلم ، و ضللتم من لم يضلله النبى صلى الله عليه و آله و سلم .

﴿ الجواب الثانى ﴾ أن يقال لهم : إن النبى صلى الله عليه و آله و سلم لم يجهل شيئا مما ذكرتموه من الكلام فى الجسم و العرض و الحركة و السكون و الجزء و الطفرة و إن لم يتكلم فى كل واحد من ذلك معينا ، و كذلك الفقهاء و العلماء من الصحابة ، غير أن هذه الأشياء التى ذكرتموها معينة أصولها موجودة فى القرآن و السنة جملة غير مفصلة .

فأما الحركة و السكون و الكلام فيهما فأصلهما موجود فى القرآن و هما يدلان على التوحيد ، و كذلك الاجتماع و الافتراق ، قال الله تعالى مخبرا عن خليله إبراهيم صلوات الله عليه و سلامه فى قصة أفول الكوكب و الشمس و القمر و تحريكها من مكان إلى مكان ما دل على أن ربه

عز و جل لا يجوز عليه شيء من ذلك، و أن من جاز عليه الأفول و الانتقال من مكان إلى مكان فليس باله.

و أما الكلام فى أصول التوحيد فمأخوذ أيضا من الكتاب، قال الله تعالى "لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا"، و هذا الكلام موجز منبه على الحجة بأنه واحد لا شريك له، و كلام المتكلمين فى الحجاج فى التوحيد بالتمانع و التغالب فانما مرجعه إلى هذه الآية، و قوله عز و جل "ما اتخذ الله من ولد و ما كان معه من اله اذا لذهب كل إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض ـ إلى قوله عز و جل: أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق".

وكلام المتكلمين فى الحجاج فى توحيد الله إنما مرجعه إلى هذه الآيات التى ذكرناها، و كذلك سائر الكلام فى تفصيل فروع التوحيد و العدل إنما هو مأخوذ من القرآن، فكذلك الكلام فى جواز البعث و استحالته الذى قد اختلف عقلاء العرب و من قبلهم من غيرهم فيه حتى تعجبوا من جواز ذلك فقالوا "اذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد"، و قولهم "هيهات هيهات لما توعدون"، و قولهم "من يحى العظام و هى رميم"، و قوله تعالى "ايعدكم انكم اذا متم و كنتم ترابا و عظاما انكم مخرجون"؛ و فى نحو هذا الكلام منهم إنما ورد بالحجاج فى جواز البعث بعد الموت فى القرآن تأكيدا لجواز ذلك فى العقول و علم نبيه صلى الله عليه و آله و سلم، و لقنه الحجاج عليهم فى إنكارهم البعث من وجهين على طائفتين: منهم طائفة أقرت بالخلق الأول و أنكرت الثانى،

و طائفة جحدت ذلك بقدم العالم، فاحتج على المقر منها بالخلق الأول بقوله "قل يحييها الذى انشاها اول مرة"، و بقوله "و هو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده و هو اهون عليه" و بقوله "كما بدأكم تعودون"، فنبهم بهذه الآيات على أن من قدر أن يفعل فعلا على غير مثال سابق فهو أقدر أن يفعل فعلا محدثا فهو أهون عليه فيما بينكم و تعارفكم، و أما البارئ جل ثناؤه و تقدست أسماؤه فليس خلق شيء بأهون عليه من الآخر، و قد قيل: إن الهاء فى «عليه» إنما هى كناية للخلق بقدرته، إن البعث و الإعادة أهون على أحدكم و أخف عليه من ابتداء خلقه، لأن ابتداء خلقه إنما يكون بالولادة و التربية و قطع السرة و القماط و خروج الأسنان و غير ذلك من الآيات الموجعة المؤلمة، و إعادته إنما تكون دفعة واحدة ليس فيها من ذلك شيء فهى أهون عليه من ابتدائه، فهذا ما احتج به على الطائفة المقرة بالخلق. و أما الطائفة التى أنكرت الخلق الأول و الثانى و قالت بقدم العالم فانما دخلت عليهم شبهة بأن قالوا: وجدنا الحياة رطبة حارة و الموت باردا يابسا، و هو من طبع التراب، فكيف يجوز أن يجمع بين الحياة و التراب و العظام النخرة فيصير خلقا سويا، و الضدان لا يجتمعان؛ فأنكروا البعث من هذه الجهة.

و لعمرى إن الضدين لا يجتمعان فى محل واحد و لا فى جهة واحدة و لا فى الموجود فى المحل، و لكنه يصح وجودهما فى محلين على سبيل المجاورة، فاحتج الله تعالى عليهم بأن قال "الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون"، فردهم الله عز و جل فى ذلك إلى

ما يعرفونه و يشاهدونه من خروج النار على حرها و يبسها من الشجر الأخضر على بردها و رطوبتها، فجعل جواز النشأة الأولى دليلا على جواز النشأة الآخرة لأنها دليل على جواز مجاورة الحياة التراب و العظام النخرة فجعلها خلقا سويا و قال " كما بدانا اول خلق نعيده ".

و أما ما يتكلم به المتكلمون من أن الحوادث أولا [1] و ردهم على الدهرية أنه لا حركة إلا و قبلها حركة و لا يوم إلا و قبله يوم، و الكلام على من قال: ما من جزء إلا و له نصف لا إلى غاية، فقد وجدنا أصل ذلك في سنة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حين قال: «لا عدوى و لا طيرة» فقال أعرابي: فما بال الإبل كأنها الظباء تدخل في الإبل الجربى فتجرب؟ فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: فمن أعدى الأول؟ فسكت الأعرابي لما أفحمه بالحجة المعقولة.

و كذلك نقول لمن زعم انه لا حركة إلا و قبلها حركة: لو كان الأمر هكذا لم تحدث منها واحدة، لأن ما لا نهاية له لا حدث له، و كذلك لما قال الرجل: يا نبي الله! إن امرأتي ولدت غلاما أسود - و عرّض بنفيه، فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: هل لك من إبل؟ فقال: نعم! قال: فما ألوانها، قال: حمر، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: هل فيها من أورق؟ قال: نعم! إن فيها أورق، قال: فأنى ذلك؟ قال: لعل عرقا نزعه، فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: و لعل ولدك نزعه عرق. فهذا ما علم الله نبيه من رد الشيء إلى شكله

(1) بياض في الأصل.

و نظيره، و هو أصل لنا فى سائر ما نحـكم به من الشبيه و النظير.

و بذلك نحتج على من قال: إن الله تعالى و تقدس يشبه المخلوقات و هو جسم، بأن نقول له: لو كان يشبه شيئا من الأشياء لـكان لا يخلو من أن يكون يشبه من كل جهاته، أو يشبهه من بعض جهاته. فان كان يشبهه من كل جهاته وجب أن يكون محدثا من كل جهاته، و إن كان يشبهه من بعض جهاته وجب أن يكون محدثا مثله من حيث أشبهه، لأن كل مشتبهين حكمهما واحد فيما اشتبها له، و يستحيل أن يكون المحدث قديما و القديم محـدثا، و قد قال تعالى و تقدس "ليس كمثله شىء" و قال تعالى و تقدس "و لم يكن له كفوًا احد".

و أما الأصل بأن للجسم نهاية و أن الجزء لا ينقسم فقوله عز و جل اسمه " و كل شىء احصيناه فى امام مبين" و محال إحصاء ما لا نهاية له، و محال أن يكون الشىء الواحد ينقسم[1] لأن هـذا يوجب أن يكونا شيئين، و قد أخبر أن العدد وقع عليهما. و أما الأصل فى أن المحدث للعالم يجب أن يتأتى له الفعل نحو قصده و اختياره و تنتفى عنه كراهيته، فقوله تعالى "افرأيتم ما تمنون أ انتم تخلقونه ام نحن الخلقون" فلم يستطيعوا أن يقولوا بحجة أنهم يخلقون مع تمنيهم الولد، فلا يكون مع كراهيته له فنبههم أن الخالق هو من يتأتى منه المخلوقات على قصده.

و أما أصلنا فى المناقضة على الخصم فى النظر فمأخوذ من سنة سيدنا محمد صلى الله عليه و آله و سلم، و ذلك تعليم الله عز و جل إياه حين

(١) بياض بالأصل.

اتى الحبر السمين فقال له : نشدتك بالله هل تجد فيما أنزل الله تعالى من التوراة أن الله تعالى يبغض الحبر السمين ؟ فغضب الحبر حين عيره بذلك ، فقال : ما أنزل الله على بشر من شيء ، فقال الله تعالى " قل من انزل الكتب الذى جاء به موسى نورا " - الآية . فناقضه عن قرب ، لأن التوراة شيء ، و موسى بشر ، و قد كان الحبر مقرا بأن الله تعالى أنزل التوراة على موسى .

و كذلك ناقض الذين زعموا أن الله تعالى عهد إليهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار ، فقال تعالى " قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينت و بالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صدقين " فناقضهم بذلك و حاجهم .

و أما أصلنا فى استدراكنا مغالطة الخصوم فمأخوذ من قوله تعالى "انكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون - إلى قوله : لا يسمعون" فانها لما نزلت هذه الآية بلغ ذلك عبد الله بن الزبعرى - و كان جدلا خصما - فقال : خصمت محمدا و رب الكعبة ، فجاء إليه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، فقال : يا محمد ! ألست تزعم أن عيسى و عزيرا و الملائكة عبدوا ؟ فسكت[1] النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا سكوت عى و لا منقطع ، تعجبا من جهله ، لانه ليس فى الآية ما يوجب دخول عيسى و عزير و الملائكة فيها ، لأنه قال " و ما تعبدون " و لم يقل و كل ما تعبدون من دون الله ، و إنما أراد ابن الزبعرى مغالطة

(١) فى البيضاوى : قال له بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك .

النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليوهم قومه أنه قد حاجه، فأنزل الله عز وجل "ان الذين سبقت لهم منا الحسنى" يعنى من المعبودين "اولئك عنها مبعدون" فقرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك فضجوا عند ذلك لئلا يتبين انقطاعهم وغلطهم فقالوا "ءالهتنا خير ام هو" يعنون عيسى، فأنزل الله تعالى "ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون" إلى قوله "خصمون"؛ وكل ما ذكرناه من الآى أو لم نذكره أصل، وحجة لنا فى الكلام فيما نذكره من تفصيل وإن لم تكن مسألة معينة فى الكتاب والسنة، لأن ما حدث تعيينها من المسائل العقليات فى أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة قد تكلموا فيه على نحو ما ذكرناه.

والجواب الثالث: أن هذه المسائل التى سألوا عنها قد علمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يجهل منها شيئا مفصلا غير أنها لم تحدث فى أيامه معينة فيتكلم فيها أو لا يتكلم فيها وإن كانت أصولها موجودة فى القرآن والسنة. وما حدث من شىء فيما له تعلق بالدين من جهة الشريعة فقد تكلموا فيه وبحثوا عنه وناظروا فيه وجادلوا وحاجوا كمسائل العول والجدات من مسائل الفرائض وغير ذلك من الأحكام، وكالحرام والبائن والبتة وحبلك على غاربك، وكالمسائل فى الحدود والطلاق مما يكثر ذكرها، مما قد حدثت فى أيامهم ولم يجئ فى كل واحدة منها نص عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأنه لو نص على جميع ذلك ما اختلفوا فيها، وما بقى الخلاف إلى الآن.

و هذه المسائل و إن لم يكن فى كل واحدة منها نص عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فانهم ردوها و قاسوها على ما فيه نص من كتاب الله تعالى و السنة و اجتهادهم ، فهذه أحكام حوادث الفروع ردوها إلى أحكام الشريعة التى هى فروع لا تستدرك أحكامها إلا من جهة السمع و الرسل ، فأما حوادث تحدث فى الأصول فى تعيين مسائل فينبغى لكل عاقل مسلم أن يرد حكمها إلى جملة الأصول المتفق عليها بالعقل و الحس و البديهة و غير ذلك ، لأن حكم مسائل الشرع التى طريقها السمع أن تكون مردودة إلى أصول الشرع الذى طريقه السمع ، و حكم مسائل العقليات و المحسوسات أن يرد كل شىء من ذلك إلى بابه ، و لا يخلط العقليات بالسمعيات و لا السمعيات بالعقليات ، فلو حدث فى أيام النبى صلى الله عليه و آله و سلم الكلام فى خلق القرآن و فى الجزء و الطفرة بهذه الألفاظ لتكلم فيه و بينه كما بين سائر ما حدث فى أيامه من تعيين المسائل و تكلم فيها .

ثم يقال : النبى صلى الله عليه و آله و سلم لم يصح عنه حديث فى أن القرآن غير مخلوق أو هو مخلوق ، فلم قلتم : إنه غير مخلوق ؟

فان قالوا : قد قاله بعض الصحابة و بعض التابعين ، قيل لهم : يلزم الصحابى و التابعى مثل ما يلزمكم من أن يكون مبتدعا ضالا إذ قال ما لم يقله الرسول صلى الله عليه و آله و سلم .

فان قال قائل : فأنا أتوقف فى ذلك فلا أقول : مخلوق و لا غير مخلوق ، قيل له : فأنت فى توقفك فى ذلك مبتدع ضال ، لأن النبى صلى الله

عليه و آله و سلم لم يقل : إن حدثت هذه الحادثة بعدى توقفوا فيها و لا تقولوا فيها شيئا ، و لا قال : ضللوا و كفروا من قال بخلقه أو من قال بنفى خلقه .

و خبرونا لو قال قائل إن علم الله مخلوق أ كنتم تتوقفون فيه أم لا ؟ فان قالوا : لا ، قيل لهم : لم يقل النبى صلى الله عليه و آله و سلم و لا أصحابه فى ذلك شيئا ، و كذلك لو قال قائل : هذا ربكم شبعان أو ريان ، أو مكتس أو عريان ، أو مقرور أو صفراوى أو مرطوب أو جسم أو عرض أو يشم الريح أو لا يشمها او هل له أنف و قلب و كبد و طحال ، و هل يحج فى كل سنة ، و هل يركب الخيل أو لا يركبها ، و هل يغتم أم لا ؟ و نحو ذلك من المسائل ، لكان ينبغى أن تسكت عنه ، لأن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لم يتكلم فى شىء من ذلك و لا اصحابه ، او كنت لا تسكت ، فكنت تبين بكلامك أن شيئا من ذلك لا يجوز على الله عز و جل و تقدس كذا و كذا بحجة كذا و كذا .

فان قال قائل : أسكت عنه و لا أجيبه بشىء او أهجره أو أقوم عنه أو لا أسلم عليه أو لا اعوده إذا مرض أو لا أشهد جنازته إذا مات .

قيل له : فيلزمك أن تكون فى جميع هذه الصيغ التى ذكرتها مبتدعا ضالا . لأن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لم يقل : من سأل عن شىء من ذلك فاسكتوا عنه ، و لا قال : لا تسلموا عليه ، و لا : قوموا عنه ، و لا قال شيئا من ذلك ، فأنتم مبتدعة إذا فعلتم ذلك ، و لم لم تسكتوا عمن قال بخلق القرآن و لم كفرتموه و لم يرد عن النبى

صلى الله عليه و آله و سلم حديث صحيح فى نفى خلقه و تكفير من قال بخلقه .

فان قالوا : لأن أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، قال بنفى خلقه و تكفير من قال بخلقه ، قيل لهم : و لم لم يسكت أحمد عن ذلك بل تكلم فيه ؟

فان قالوا : لأن العباس العنبرى و وكيعا و عبد الرحمن بن مهدى و فلانا و فلانا قالوا إنه غير مخلوق ، و من قال بأنه مخلوق فهو كافر .

قيل لهم : و لم لم يسكت أولئك عما سكت عنه صلى الله عليه و آله و سلم .

فان قالوا : لأن عمرو بن دينار و سفيان بن عيينة و جعفر بن محمد رضى الله عنهم و فلانا و فلانا قالوا : ليس بخالق و لا مخلوق .

قيل لهم : و لم لم يسكت أولئك عن هذه المقالة ، و لم يقلها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ؟

فان أحالوا ذلك على الصحابة أو جماعة منهم كان ذلك مكابرة ، فانه يقال لهم : فلم لم يسكتوا عن ذلك ، و لم يتكلم فيه النبى صلى الله عليه و آله و سلم ، و لا قال : كفروا قائله ، و إن قالوا : لا بد للعلماء من الكلام فى الحادثة ليعلم الجاهل حكمها ، قيل لهم : هذا الذى أردناه منكم ، فلم منعتم الكلام ، فأنتم إن شئتم تكلمتم حتى إذا انقطعتم قلتم : نهينا عن الكلام ، و إن شئتم قلدتم من كان قبلكم بلا حجة و لا بيان ، و هذه شهوة و تحكم .

ثم يقال لهم : فالنبى صلى الله عليه و آله و سلم لم يتكلم فى النذور و الوصايا و لا فى العتق و لا فى حساب المناسخات ، و لا صنف فيها كتابا كما صنعه مالك و الثورى و الشافعى و أبو حنيفة ، فيلزمكم أن يكونوا مبتدعة ضلالا إذ فعلوا ما لم يفعله النبى صلى الله عليه و آله و سلم ، و قالوا ما لم يقله نصا بعينه ، و صنفوا ما لم يصنفه النبى صلى الله عليه و آله و سلم ، و قالوا بتكفير القائلين بخلق القرآن و لم يقله النبى صلى الله عليه و آله و سلم . و فيما ذكرنا كفاية لكل عاقل غير معاند ، تجز و الحمد لله و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم .

تم الطبع الثالث لهذه الرسالة فى اليوم الأربعاء سادس صفر المظفر سنة ١٤٠٠ هـ = ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٧٩ م و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه أجمعين .



بســـــم الله الرحمن الرحيم

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

